الفصل الثاني

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع بقية النواسخ

* المجموعة الاولي : أصبح.
* المجموعة الثانية : ظل، مازال، مافتئ.
* المجموعة الثالثة : المقاربات كادوا أخواتها.
* المجموعة الرابعة : أفعال التمني والرجاء في القرآن الكريم.

"يفعل" مع بقية النواسخ

ينصرف هذا الفصل الى دراسة الجوانب الزمنية في النواسخ الاخرى مع "يفعل" التي وردت في القرآن الكريم. وانما افردنا لـ "كان" وحدها فصلا وأجملنا بقية النواسخ في فصل واحد لأن كان -وهي أم النواسخ- قد وجدناها الأكثر ورودا. واستئثارا بتكوين الصيغ بالأزمنة المختلفة، بحيث بلغ عدد المرات التي ذكرت فيها في القرآن نحو 1300 ولأنها وهذا هو الاهم لها دلالتها الزمنية الخاصة التي تكاد تنفرد بها بين أخواتها الناسخات اذ هي تستعمل غالبا لافادة استمرار الحدث في الزمن الماضي مع "يفعل" وعلى الماضي البعيد مع "فعل" كما رأينا. كما تدل على استمرار مضمون الخبر من الماضي الى المستقبل على نحو ما سنرى وهذا ما لم توجد قرينة فصرفها بغير ذلك، أو تقع في سياق خاص يضعها في زمن معين كما رأينا(1).

أما بقية النواسخ، فهي مجموعات صغيرة في القرآن لكل معناها الخاص، ولونها الزمني الخاص على نحو ما سنرى.

المجموعة الأولى

وينحصر زمنها في فترة معينة وهي :

بـــات : وتفيد فترة تستغرق المساء والليل.

أضحـــى : تفيد فترة الضحى.

أمســـى : تفيد فترة المساء.

أصبـــح : تفيد فترة الصباح(2).

---

1 – الزمن في النحو العربي للدكتور كمال ابراهيم 83-84.

2 - المصدر نفسه.

ولم يرد من هذه الافعال في القرآن الكريم مع "يفعل" الا "أصبح" بصيغة الماضي وأصبح فعل ماض ناقص، تفيد مع معموليها -اسمها وخبرها- اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافا يتحقق صباحا في زمن يناسب دلالة الصيغة ويشاركها في حروفها وهو فترة الصبح وهو جزء من أجزاء اليوم وبذلك لاتدل على فترة الضحى أو المساء أو الليل، أو غيرها من أجزاء الزمن (فأصبح لاقتران مضمون الجملة بالزمان الذي يشاركها في الحروف)(1). (واذا قالوا. أصبح عبداله منطلقا فانما المعنى : أتى الصباح وعبداله منطلق)(2). ويرى النحاة أن صيغة المضارع من "أصبح" تدل على زمن الحال والاستقبال مثلها مثل صيغة "يفعل" مشتقة من الافعال التامة. قال الرضي : فمعنى "أصبح""زيد" أميرا أن امارة زيد مقترنة بالصبح في الزمن الماضي ومعنى يصبح قائما : ان قيامه مقترن بالصبح في الحال والاستقبال وكثيرا ما تأتي "أصبح" بمعنى "صار"، فتفيد التحول من الحال الى حال فتخرج بذلك عن نطاق الصبح الذي يشاركها في حروفها فنقول أصبح فلان عالما بمعنى صار كذلك، أي انتقل من الحالة القديمة الى حالة كونه عالما(3) وبهذا المعنى جاء "أصبح يفعل" في القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : «وأحيط بثمرة فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها»(الكهف42/18) أي تحول من حالة النجاة الى حالة الهلاك لأن (أحيط به عبارة عن اهلاكه، وأصله من أحاط به العدو.... ومنه قوله تعالى الاّ أن يحاط بكم)(4).

لذلك صار يقلب كفيه كناية عن الندم والتحسر (لأن النادم يقلب كفيه ظهرا البطن)(5) فيصبح المعنى، تحول في الماضي من حالة النجاة والعزة، الى حالة

1 - القانون في النحو للجزولي : 46.
2 - الأصول في النحو للسراج : 93/1.
3 - شرح الكافية : 255-296.
4 - الكشاف للزمخشري : 485/2.
5 - المصدر نفسه.

الهلاك والندم والتحسر.

غير أن أبا حيان قد جاء بتفسير يجعل "أصبح" في هذا المقام تفيد الصباح قال : (الظاهر أن الاحاطة كانت ليلا، لقوله فأصبح)(1) فيصبح المعنى : أقبل عليه الصباح وهو هالك نادم.

ولكن الاحتمال الاقرب عند أبي حيان (أن يكون معنى فأصبح، فصار فلا يدل على تقيد الخبر بالصبح) اذ لما كان هذا الفعل (يقلب). كناية عن الندم، عداه تعدية فعل الندم، فقال على ما اتفق فيها كأنه قال : فأصبح نادما على ذهاب ما اتفق في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عرشها(2).

ومنه قوله تعالى : «وأصبح الذين تمنوا مكانة بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له»(القصص82/28) ولكي ندرك أن أصبح هنا بمعنى "صار" (أي تفيد التحول من حال الى حال) نعود الى السياق الذي وردت فيه الآية، وذلك في قوله تعالى : «ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنسى نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين»(القصص77,76/28).... الى قوله تعالى : «فخرج على قومه في زينته. قال الذين يريدون الحية الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولايلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين»(القصص/81.79 28).

---

1 - البحر المحيط لأبي حيان 130/6.

2 - المصدر نفسه.

اذ نفهم من قراءة الايات السابقة أن هذه الفئة التي كانت تتمنى أن نعيش عيشة قارون في عزه ومجده قبل الخسف أصبحت بعد الخسف راضية بما رزقها الله من عيش ويقول : «لولا أن من الله علينا لخسف بنا»(القصص82/28) بعد أن تبين لهم خطأهم في تمنيهم(1).هناك من المفسرين من حمل "أصبح" على ظاهره باعتبار أن الخسف به وبداره كان ليلا ويستدلون على ذلك بالعطف بالفاء التي تقتضي التعقب في قوله "فخسفنا" غير أن سياق الآية يوحي بأن المراد بالامس الزمن الماضي وهو تعبير شائع في القرآن ومنه قوله تعالى في سورة القصص «فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه»(القصص17/28) اذ كان المراد بالامس في هذه الآية زمنا انقضى منذ وقت.

المجموعة الثانية

وتفيد الاستمرار وهي :

ظل، مازال، ماانفك، ما فتئ، ما برح، مادام، وهي تفيد غالبا الماضي مع الاستمرار فيه، ولقد ورد من هذه الأفعال في القرآن "ظل يفعل" و "وفتئ يفعل".

ظل ووظيفتها وزمنها

تفيد ظل مثل أصبح انسلاق اسمها بمعنى خبرها اتسافا يتحقق طوال النهار غالبا من الصبح الى المساء، ولذلك عرف الجزولي "ظل" بأنها تأتي لمصاحبة الصفة للموصوف نهار قال الرضي : (معنى ظل زيد متفكرا: كان في جميع النهار كذلك) فاقترن مضمون الجملة، وهو تفكر زيد بجميع النهار مستغرقا له ويقترن أيضا بزمانه الآخر المدلول عليه بالصيغة، أي الماضي والحال الاستقبال وتصريفه ظل يظل ظلولا(2)، أي أن الصيغة الماضية في "ظل" تدل

1 - القانون في النحو : 46.
2 - شرح الكافية 295/2.

على الماضي والمضارع منها يدل على الحال والاستقبال. وقد تخرج "ظل" عن مدلولها، فتستعمل بمعنى "صار" وتفيد التحول من حال الى حال ولا تفيد بوقتها وهو طول النهار(1).

ومن استعمالات ظل "يفعل" في القرآن الكريم قوله تعالى : «ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون»(الحجر14/15) فقد جاءت "ظلوا يعرجون" لمصاحبة الصفة للموصوف طول النهار ويبين هذا المعنى من السياق الاية وتفسيرها اذ جاءت مدرجة في سياق قوله تعالى : «ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لايؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحمورون» يقول الزمخشري وهو يشرح هذه الاية (أي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه اعجازه وولج ذلك في قلوبهم ووقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد، وشيمتهم الجحود حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها الى الايمان بضروة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم بابا في السماء، ويعرج بهم اليه، حتى يدخلوا منه نهارا والى ذلك أشار بقوله لظلوا، لأن الظلول، انما يكون نهار لقالوا بعد الايضاح العظيم المكشوف : انما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد)(2) وانما استشهدنا بهذا النص الطويل لنهتم بالسياق العام الذي وردت فيه "ظل" وكيف أنها جاءت لافادة استغراق فترة النهار ولم تأت بمعنى صار قال أبو حيان : (وجاء لفظ "فظلوا" مشعرا بحصول ذلك في النهار لكي يكونوا مستوضحين لما عاينوا)(3) ومنه قوله تعالى : «ولو نشاء لجعلنا حطاما فظلتم تفكهون».(الواقعة65/65) اذ يذهب أغلب المفسرين أن ظلتم تفكهون جاءت

---

1 - القانون في النحو 46.
2 - الكشاف 388/2.
3 - البحر 448/5.

على الأصل أي "ظلتم" وقد رأينا "ظل" تأتي دالة على معنيين فقد تأتي للدلالة على استغراق فترة النهار كما تأتي للدلالة على التحول فتأتي بمعنى "صار" واذا عدنا الى سياق الاية نجد أن ظل هنا جاءت بمعنى التحول الذي تدل عليه "صار" فعندما نقرأ الاية السابقة وهي قوله تعالى : «أفرأيتم ما تحرقون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون»(الواقعة-65 63/65) نجد أن ظل هنا لا علاقة لها باستغراق النهار وانما هي تفيد التحول من حالة الرضا عن خصب نمائها الى حالة العجب والاندهاش من جذب الارض وحطامها ويشرح الزمخشري تفكهون بـ تعجبون، وعن الحسن رضي الله عنه تندمون على تعبكم فيه، واتفاقكم عليه، أو على اما اقترفتم من المعاصي(1).

مـــا فتئ

لا تأتي في العربية الا وهي مسبوقة بأداة نفي في حال نقصانها اما ملفوظة واما مقدرة ولا تحذف منها الأداة الا في الفعل المضارع منها في جواب القسم مثل قوله تعالى: «تا الله تفتأ»(يوسف85/12) وهي تفيد اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافا مستمرا في الماضي ومنطلقا الى المستقبل غالبا. قال ابن عصفور : (وأما، مازال، مافتئ فللدلالة على ملازمة الصفة للموصوف منذ كان قابلا لها على حسب ما قبلها(2) وبهذا المعنى الزمني وردت "يفتأ" في القرآن الكريم بصيغة المضارع ومجردة من "ما" النافية، وذلك في قوله تعالى : «تا لله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين»(يوسف/85 12) قال الزمخشري : أراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالاثبات ومعنى لاتفتأ : لا تزال وعن مجاهد : لاتفتر من حبه(3) (كأنه جعل الفتـــوء

1- انظر الكشاف 57/4 وتفسير القرطبي 219/17 والبحر المحيط لأبي حيان 211/8.
2 - المقرب 193/1.
3 - الكشاف 339/2.

والفتور أخوين(1) وهكذا جاءت تفتؤا في القرآن بالمعنى الذي أسلفنا ذكره وهو الاستمرار وسريان الحدث من الماضي الى الحاضر، الى المستقبل وكأنهم قالوا له : (لاتزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك)(2).

مـــازال

قال السيوطي : مازال وأخواتها تدل على ملازمة الصفة من كان قابلا لها على حسب ما قبلها، ولاتأتي زال الا وهي مقترنة بأداة النفي، ان كانت ماضية، فبما و"لم"، وبـ "لا" في الدعاء وان مضارعة، فبما، و "لا" و "لن" وهي تدل على الاستمرار، استمرار الحدث الى وقت الكلام أو ما بعد ذلك لذلك لا يكون خبرها جملة فعلية فعلها ماض لأن الفعل الماضي يدل على انقطاع الحدث دون الاتصال بالحال أو الاستقبال(3).

مازال في القرآن

لم ترد "زال" في القرآن مع "يفعل" الا وهي مضارعة منفية وذلك في قوله تعالى : «ولا تزال تطلع على خائنة منهم الأ قليل منهم»(المائدة13/5) وقد جاء هذا الترتيب بعد قوله تعالى : «فبما نقضيهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلأ قليل منهم»(المائدة13/5).

ويتبين من شرح المفسرين للآية ولـ "لاتزال" أي هذا التركيب يفيد الاستمرار المتصل من الماضي الى المستقبل عبر الحاضر كما رأينا. فمعنى لاتزال تطلع : (هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم، كانوا يخافـــون الرســـل، هؤلاء

---

1 - المصدر نفسه 339/2.
2 - البحر 339/5.
3 - انظر شرح الكافية 293/2.

يخوفونك، ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك(1) وقد جاءت "خائنة" بمعنى المصدر أي على خيانة(2).

ومنه قوله تعالى : «ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا»(البقرة217/2) فقد أفادت "لايزالون" هنا الاستمرار في المقاتلة والديمومة على ذلك : قال الرازي وهو يشرح هذه الاية : (ومعنى لايزالون) أي يدومون على ذلك، لأن الزوال يفيد النفي، فاذا أدخلت عليه ما، كان ذلك نفيا للنفي، فيكون دليلا على الثبوت الدائم)(3) وهي دالة على الدوام حتى وان ظهرا أن يقاتلونكم معلق بقوله حتى يردونكم عن دينكم. قال الزمخشري وهو يحلل هذا المعنى : (ولايزالون يقاتلونكم) : أخبار عن دوام عدواة الكفار للمسلمين، وأنهم لاينفكون حتى يرودهم عن دينهم وحتى : معناها التعليل : كقولك "فلان يعبدالله حتى يدخل الجنة : "يقاتلونكم" كي يردوكم (ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتم، كقولك للرجل : ان استطعت أن تظفر بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لن يظفر به(4).

أي أن (لايزالون يقاتلونكم) افادت الاستمرار والدوام على الرغم من التعليق الظاهري في قوله (حتى يردوكم) وذلك لأن في ق،له تعالى (ان استطاعوا) ازاله لكل لبس يوهم بانقطاع حدث الفعل وكثير ما تأتي مثل هذه الدلالات في التركيب الشرطي : من ذلك قوله تعالى : «ان استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء»(الانعام35/6) وقوله عز وجل : «يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفدوا»(الرحمن33/35) اذ تدل الايتان في معناهما العـــام على استبعـــاد

---

1 - الكشاف 600/1.
2 - التفسير للامام الرازي 187/11.
3 - المصدر نفسه : 35/6.
4 - الكشاف 357/1.

الاستطاعة.

المجموعة الثالثة : (المقاربات)

وتنقسم بدورها الى فئات صغيرة متشابهة الدلالة :

أ - **الفئة الأولى :** كاد وأخواتها : وتفيد قرب وقوع الخبر.

ب - **الفئة الثانية :** عسى وأخواتها : وتفيد رجاء وقوع الخبر.

جـ - **الفئة الثالثة :** طفق وأخواتها : وتفيد الشروع ولم يرد من الفئة الأولى في القرآن الا "كاد" وقد جعل النحاة "كاد" أم أفعال المقاربة وتفيد مع أخواتها قرب حصول الفعل (الذي هو خبرها) قربا شديدا قال ابن عصفور ممثلا لدلالة كاد الزمنية : الا ترى أن معنى قولك كاد زيد يقوم، قارب القيام حتى لم يبق بينه وبين الخبر فيه من(1) ولا يأتي خبرها الا وهو مضارع. قال ابن يعيش وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعا(2).

كاد ودلالاتها في القران الكريم:

ولما كانت الدلالة العامة لهذا التركيب، يرتبط بدلالته الزمنية فاننا نقف وقفة مع شرح النحاة والمفسرين لـ "كاد" مجردة ومنفية فهي عند ابن منظور تفيد نفي الفعل وهي مجردة وتفيد وقوع الفعل عندما تكون مقرونة بالجحد(3).

ولكن الرضي الذي وقف طويلا عند هذه الحالة لم يعط حكمه في دلالة هذا المركب الا بعد أن أحاط به من جميع جوانبه، فقد حلل كل الحالات والاحتمالات التي قد يؤديها في السياقات المختلفة. وقد رد من قال : ان نفي "كاد" اثبات،

---

1 - المقرب 99/1.

2 - شرح المفصل 119/7.

3 - لسان العرب 386/4 «وله آراء أخرى سنوردها بعد حين».

وأن اثباتها نفي، لأنه من غير المعقول أن يكون اثبات الشيء نفيا له وهذا ان أريد اثبات الكود (أي القرب)، فيكون معنى زيد يقوم اثبات القرب من القيام. ويكون هذا القول صحيحا اذا أرادوا أن اثبات كان دال على نفي مضمون الخبر، لأن قربك من انجاز فعل معين ينفي انك لم تنجزه وهذا يعني انتقاء الفعل في جانبه الدلالي والسياق العام. "اذ لو حصل منك الفعل لكنت آخذ في الفعل لاقريبا منه"(1).

وهم يخطئون كذلك في الشق الثاني في قولهم، اذ أرادوا أن نفي القرب من مضمون الخبر اثبات لذلك المضمون وما ذلك الا لأن نفي القرب من الفعل أبلغ في انتقاء ذلك الفعل من نفي الفعل نفسه فقولك : ما قربت من النجاح آكد في نفي النجاح من قولك : ما نجحت وانما توهم البعض أن "كاد" المنفية تدل على ثبوت الخبر وهو وجود قرينة "يدل" على ثبوت النجاح بعد انتفائه، وانتفاء القرب ولافضل لكاد المنفية في هذا الاثبات، أي أنك عندما تقول : نجح خالد وما كاد ينجح، فان القرينة السابقة (نجح خالد) هي التي دلت على اثبات مضمون خبر "كاد" فلا يكون اذن نفي "كاد" مفيدا لمضمون ثبوت خبره، بل المفيد لثبوت تلك القرينة فان حصلت قرينة هكذا قلنا بثبوت مضمون خبر "كاد" بعد انتفائه كما في قوله تعالى : «فذبحوها وما كادوا يفعلون»(البقرة71/2)... وان لم يثبت قرينة هكذا، كقولك : مات زيد وما كاد يسافر، قلنا : بقي مضمون خبر "كاد" على انتفائه، وعلى انتفاء القرب منه كما في قوله تعالى : «اذا أخرج يده لم يكد يراها»(النور40/24).

ومن أمثلة (كاد يفعل) في القرآن الكريم قوله تعالى : «قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون»(البقرة71/2) فقد نال هذا التركيب في الآية السابقة من اهتمام النحاة والمفسرين ما يجعلنا نطيل الوقوف معهم في

1 - شرح الكافية / لرضي الدين الاستراباذي 306/2.

تحليل الدلالات المختلفة التي تؤديها كاد المنفية في سياق هذه الآية.

فالرضي يفسر (ما كادوا يفعلون) ويقول : أي ما كادوا يذكرون قبل ذبحهم وماقاربوا منه، أما أنهم ما كادوا يفعلون ذلك فلأن القرآن أشار الى تعنتهم في قولهم : «أتتخذنا هزؤا»

وقولهم : «ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها»(البقرة69,68,67/2) وهذا التعنت دأب من لايفعل، ولا يقارب الفعل أيضا، ولو لم تأت قرينة للدلالة على ثبوته لظل على انتفائه بفعل التركيب والسياق لأن اثبات الفعل مفهوم من القرينة، وهي قوله تعالى : فذبحوها، لاَ مِنٌ "ما كادوا"(1).

ونكاد نجد الرأي نفسه عند الجرجاني الذي يعول كذلك على القرينة السابقة في الآية المثبتة للذبح أما "كاد" عنده فهي باقية على دلالتها على شدة قرب الفعل من الوقوع، وعلى أنه قد شارف الوجود فاذا وجدت قرينة دالة على وقوع الفعل كانت اشارة الى أنه لم يقع الا بعد الجهد وهو أن كان بعيدا في الظن أن يقع(2) :

ويقول صاحب اللسان وهو يشرح : «فذبحوها وما كادوا يفعلون» : معناه فعلوا بعد ابطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم(3) :

ويفسر أبو حيان "ما كادوا يفعلون" في الآية تفسيرا لا يبتعد عن توجيه السابقين فهو يقول : وأما الاية فقد اختلف زمان نفي المقاربة، والذبح، اذ المعنى : وما قاربوا ذبحها قبل ذلك، أي وقع الذبح بعد أن نفى مقاربته، فالمعنى أنهم تعسروا في ذبحها بعد ذلك(4) : فقد جاءت "ما كادوا يفعلون"

---

1 - شرح الرضي على الكافية 306/2 :
2 - دلائل الاعجاز للجرجاني 312-313.
3 - لسان العرب 388/4.
4 - البحر المحيط لأبي حيان 258/1.

"استقبال استقصائهم، واستبطائهم، وزنهم لتطويلهم المفرط، وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها، وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط فيها وتعمقهم"(1).

فإذا جئنا الى الدلالة الزمنية لـ (ما كاد يفعل) نجد أنها تدل على الماضي لفظا ومعنى : وأنها تدل على أن الفعل لم يحدث بسهولة، وكان يمكن ألا يحدث ومنه قوله تعالى : «يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان»(ابراهيم17/14) وقد جاءت الآية في سياق قوله تعالى : «ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاف كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان»(ابراهيم17/14).

فيكاد هنا فيما يرى المفسرون تفيد المبالغة في نفي الاستساغة ومقاربتها(2). قال أبوحيان وهو يشرح الآية : "يتجرعه : يتكلف جرعه، ولا يكاد يسغه أي لا يتقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة، والظاهر هنا انتقاء مقاربة اساغته اياه، واذا انتفت الاساغة فيكون كقوله : لم يكد يراها، أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها"(3) ولكن الفراء يخالف النحاة والمفسرين ويقول : "فهو يسيغه" (لأن العرب تجعل المفسرين قد بنوا رأيهم القائم على نفي الاستساغة على الملابسات التي أحاطت بهذا التركيب "يكاد" أي أنى له أن يستسغ "وهو يتجرعه فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، واذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره"(4) «وفي كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد

1- الكشاف للزمخشري 288/1.
2 - الكشاف 371/1.
3 - البحر المحيط لأبي حيان 413/5.
4 - معاني القرآن 71/2.
5 - البحر المحيط 413/5.

مما قبله وأغلط»(1).

فكأن "لايكاد" هنا تأتي لتأكيد نفي الاستساغة عن "الجبار العنيد" وهو محاط بشتى ألوان العذاب.

أما زمن "لايكاد يسيغه" فهو المستقبل البعيد، زمن الدار الآخرة. قال أبو حيان وهو يرد رأي الأخفش القائل بأن المراد بالموت في قوله تعالى : «ويأتيه الموت» البلايا التي تصيب الكافر في الدنيا. قال : "وهو بعيد لأن سياق الآية يدل على أن هذا من أحوال الكافر في جهنم"(2).

ومنه كذلك قوله تعالى : «اذا أخرج يده لم يكد يراها»(النور40/24).

ولكي نتمكن من مسايرة شرح المفسرين لهذا التركيب يجدر بنا أن ندرجه في سياقه العام، والآية التي تضمنت هذا التركيب هي قوله تعالى : «أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها»(النور40/24). فـ (لم يكد يراها) تفيد المبالغة في كونه لم يراها "أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها"(3)، وهو لا يمكن أن يراها بسبب الظلمات الكثيفة المحيطة به "فهي لا ترى (أي اليد) فيما هو دون هذا من الظلمات وكيف بظلمات قد وصفت بأشد الوصف"(4) لذلك يجعلها أبو عبيدة في حكم الفعل المنفي يقول : وهو لم يدن لأن يراها، ولم يرها، فخرج مخرج لم يراها ولم يكد(5). ويبدوا أن القرائن المحيطة بـ "كاد" ومشتقاتها لها دور في توجيه الدلالة العامة لهذا التركيب اذ وجدنا في الآية السابقة (هي قوله تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون) أن كاد

1 - الكشاف 371/2.
2 - البحر المحيط 413/5.
3 - الكشاف للزمخشري 69/3.
4 - معاني القرآن للفراء 72/2.
5 - مجاز القرآن لأبي عبيدة 67/2

المنفية تدل على وقوع الفعل (الذبح) ولكن بعد ابطاء ومجاهدة، وها نحن نجد أن كاد المنفية هنا يجبرها السياق على الدلالة على النفي الشديد لوقوع الفعل فدلالة "كاد" -فيما يبدوا- ليست دلالة ذاتية، وانما هي تستمد من القرائن والسياق، لذلك نجد أن صاحب اللسان لايعطي شرحها جامعا مانعا لـ "كاد" وانما يتابعها في سياقاتها المختلفة يقول : "فذبحوها وما كادوا يفعلون : معناه : فعلوا بعد ابطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم، وقد يكون ما كدت أفعل، بمعنى ما فعلت ولا قاربت"(1).

أما زمن لم يكد ههنا فهو زمن عام لا يختص بماض ولا مستقبل وانما جاء في سياق عام لمثلين ضربهما الله للذين كفروا في قوله : ؛ «والذين كفروا أعمالهم...» «أو كظلمات...» ومن الآيات التي جاء فيها كاد مثبتة، ماضية، دالة على قرب وقوع الفعل قوله تعالى ٪ : «من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم» (التوبة117/9).

وذلك في سياق قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبي، والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تريغ قلوب فريق منهم» (التوبة117/9).

وقوله تعالى : «ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» (الاعراف150/7).

وقوله تعالى : «وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا» (الجن19/72).

وقوله عز وجل : «ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا» (الاسراء14/17).

ومن أمثلة "كاد" في القرآن المسبوقة بأداة شرط الدالة على الماضي وقرب وقوع الفعل قوله تعالى : «ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن ضربنا عليهـا»

---

1 - لسان العرب لابن منظور ركود 388/4.

(الفرقان42/25)

وقوله تعالى : «وان كادوا ليفتنونك عن الذي أو حينا اليك» (الاسراء/73 17)

- «وان كادوا ليفتنونك في الأرض ليخرجوك منها» (الاسراء76/17).

- «تالله ان كدت لتريدني» (الصافات56/37).

ومن أمثلة "يكاد" المثبتة الدالة على الزمن العام وقرب وقوع الفعل فيه قوله تعالى : «ان الساعة آتية أكاد أخفيها» (طه15/20)

وقوله عز وجل : «يكاد السموت يتفطرن منه وتنشق الأرض» (مريم90/19)

وقوله تعالى : «يكاد زينتها يظيئ ولو لم تمسسه نار» (النور35/24)

وقوله تعالى ٪ : «يكاد البرق يخطف أبصارهم» (البقرة20/2)

ومن أمثلة "يكاد" المنفية الدالة على الزمن العام

قوله تعالى : «فما هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا» (النساء4/78)

(الكهف93/18)

وقوله سبحانه وتعالى : «أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين» (الحرف52/43) حيث تدل "يكاد" هنا على قرب وقوع الفعل في اطار زمني غير محدد ومن أمثلة "يماد" المثبتة الدالة على قرب وقوع الفعل في المستقبل البعيد قوله تعالى : «وهي تفور تكاد تميز من الغيظ» (الملك8/67).

وانما دلت "يكاد" على المستقبل لأنها جاءت في سياق يدل على ذلك، فقد جاءت في سياق قوله تعالى : «وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ»

(الملك8,7,6/76)، وبعد هذه الوقفة عند "كاد" نستنتج أن "كاد" لها زمنان : زمن خارجي عام، هو الدلالة على المراحل الزمنية لا الماضي المستقبل القريب، المستقبل البعيد...الخ.

وزمن داخلي خاص، هو الدلالة على قرب وقوع الفعل وفي قرب وقوعه.

عسى في القرآن الكريم :

لم يرد من أفعال الرجاء في القرآن الكريم الا "عسى" مقترنة بـ : "أن" ويجعلها النحاة فعلا جاء على ضيغة الماضي لأنها تتصرف تصرف الأفعال. قال سيبويه : ومن العرب من يقول : عسى، وعسيا، وعسوا، وعست، وعستاه، وعسين(1) ولقد اشترط النحاة في أخبار هذه الأفعال أن تكون على صيغة الفعل المضارع مجردة من أن المصدرية أو مقترنة بها، ولما كانت عسى وأخواتها تدل على قرب حدوث الفعل أو توقع حدوث الفعل انصرفت دلالتها الزمنية للاستقبال فهي لاتدل على الحال ولا على الماضي، على الرغم من أنها جاءت على صيغة الماضي ولم تأت على صيغة المضارع "فلايقال منها يفعل، ولا فاعل، ولايقال يعسى ولا عاس"(2). وفي ذلك يقول الأنباري محللا اقتران خبرها بـ "أن" وخبرها لايكون الا مع الفعل المستقبل نحو : عسى زيد أن يقوم، فان قيل : فلم أدخلت في خبره "أن" قيل : لأن عسى وضعت لمقاربة الاستقبال و "أن" اذا دخلت على الفعل المضارع أخلصته للاستقبال، فلما كانت عسى موضوعة لمقاربة الاستقبال و "أن" تخلص الفعل للاستقبال " ألزموا الفعل الذي وضع لمقاربة الاستقبال "أن" التي هي علم الاستقبال"(3).

ومن أمثلة "عسى" الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى : «أكرمي مثـــواه

---

1 - الكتاب 158/3.
2 - فصيح ثعلب ص4
3 - أسرار العربية 53.

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا»(يوسف21/12) حيث جاء خبر "عسى" و "ينفعنا" دالا على ترجي وقوع الفعل في المستقبل البعيد، اذ يبدوا من سياق الآية أن العزيز قد تفرس في سيدنا يوسف أمورا لم تكن لتظهر عليه وهو طفل صغير وانما تلوح الخصال والصفات المميزة للانسان من نفع، وشهامة، وشجاعة، عندما يبلغ سن الرشد والرجولة، أي بعد سنين طويلة تلي سن الطفولة. يقول الزمخشري وهو يشرح "عسى أن ينفعنا".

"لعله اذا تدرب، وراض الأمور، وفهم مجاريها، ستظهر به على بعض ما نحن بسبيله، فينفعنا فيه بكفايته، وأمانته، أو تبناه وتقيمه مقام الولد"(1).

ومنه قوله تعالى : «ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل» (القصص22/28).

غير أن المدى الزمني في هذه الآية -فيما يبدو- أقصر من زمن الاستقبال في الاية السابقة في قوله تعالى : «عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا" اذ نجد أن سيدنا موسى عليه السلام في هذه الاية يرجو من ربه هدايته الى الطريق السوي في أقرب وقت. قال أبو حيان : "والظاهر من قوله : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، أنه كان لايعرف الطريق فسأل ربه أن يهديه أقصد الطرق، بحيث أنه لايظل، اذ لوسلك ما لا يوصله الى المقصود لتاه". وقد استجاب الله لدعوته في الحين فهداه الى مدين،(2) فقد قيل : هذاه جبريل الى مدين، وقيل أخذ يمشي من غير معرفة، فأوصله الله الى مدين، وقيل : أخذ طريقا يأمن فيه، فاتفق ذهابه الى مدين(3)، فخبر عيسى ههنا حسب السياق الذي ورد فيه يدل على المستقبل القريب.

---

1 - الكشاف 310/2.

2- تفسير البحر المحيط لأبي حيان 112/7.

3 - المصدر نفسه.

ومنه كذلك قوله تعالى : «عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا»(الاسراء8/17).

غير أن السياق يعود بـ "عسى" وما بعدها الى الماضي فيجعلها تفيد مستقبل الماضي اذ يستفاد من الشروح المطولة لهذه الاية أن الله وعد بني اسرائيل بالرحمة -ان تابوا- وبتكرير عقابه عليهم ان عادوا الى الكفر. "وقد عادوا، فأعاد الله اليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الأتاوة عليهم، أو كان ذلك بأن "بعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يدوهم صاغرون(1) ينقل السيوطي عن ابن الانباري أن عسى في القرآن واجبة، أي لابد أن يحقق خبرها الا في موضعين أحدهما : «عسى ربكم أن يرحمكم» يعني بني النضير، فما رحمهم الله بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوقع عليهم العقوبة"(2)

فزمن "عسى ربكم أن يرحمكم" زمن يدل في ظاهره على المستقبل ولكنه استقبال بالنسبة لأحداث ماضية، انقطع وانقضى أثرها والشكل التالي يبين الموضع الزمني لهذا التركيب في سياق الآية التي وقع فيها.

الماضي البعيد	الماضي القريب	الحاضر	المستقبل
	انقطاع الحدث		

مستقبل الماضي

عسى ربكم أن يرحمكم

1 - الكشاف 439/2.

2 - الاتقان 164/1.

ومنه قوله تعالى : «عسى ربه ان طلقكن أن يبدل له أزواجا خيرا منكن»(التحريم5/66) حيث جاء وقوع الخبر متعلقا بالتبديل، فلم يقع التبديل" والتبديل مشروط بأن يطلق ولم يطلق فلم يقع التبديل"(1). فزمن عسى زمن معلق بفعل آخر لم يقع كل ذلك في سياق دال على أحداث ماضية، وقد رأينا أن عسى في القرآن واجبة الا في موضعين أحدهما في قوله تعالى : «عسى ربكم أن يرحمكم» والثاني في هذه الآية (عسى ربه...) جاء في البرهان : عسى ولعل من الله واجبتان، وان كانتا رجاء وطمعا في كلام المخلوقين لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون والباري منزه عن ذلك... وذلك في نحو قوله تعالى : «فعسى الله أن يأتي بالفتح أوامر من عنده»(المائدة5/52).

ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم (في الشكوك والظنون) أما زمن عسى في العموم فهو اما أن تكون فعلا ماضيا في اللفظ والمعنى لأنه طمع قد حصل في شيء، واما أن يكون ماضي اللفظ مستقبل المعنى، لأنه أخبار عن طمع يريد أن يقع(2) وهو الوجه الذي ينسجم مع زمن عسى في أغلب الآيات التي ورد فيها.

ومن أمثلة "عسى" الدالة على وقوع الخبر في زمن قريب أو بعيد قوله تعالى : «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم»(البقرة2/216).

وقوله تعالى : «فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا»(المساء4/19).

وقوله عز وجل : «فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم»(النساء4/99).

---

1 - الاتقان للسيوطي 165/1.

2 - الاتقان للسيوطي.

- «خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم»(التوبة/102/9)

- «فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا»(يوسف83/12).

- «ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا»(الاسراء51/17)

- «وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشد»(الكهف24/18).

- «قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون»(النحل27/72).

- «فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين»(القصص67/28).

- «عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار»(تحريم5/66).

قال الزمخشري وهو يشرح هذه الاية الأخيرة : (ومثلها كثير من الايات التي أدرجناها) : عسى ربكم : اطماع في الله لعباده... وتعليما لهم وجوب الترجح بين الخوف والرجاء(1) أي أن "عسى" واجبة في القرآن الكريم، وفي حق الله تعالى وانما عبر القرآن بـ "عسى" الدالة على الرجاء الشك، لتعليم عباده كيف يطمعون في رحمته، ويرجون مغفرته.

فدلالة "عسى" في القرآن هي :

أنها فعل ماض لفظا يدل على وجوب وقوع الفعل (الا في موضعين) : في مستقبل قريب أو بعيد وقد يأتي مستقبلا بالنسبة لأحداث ماضية.

---

1 - الكشاف 130/4.

لعل وليت في القرآن الكريم :

لما كانت لعل تفيد الترجي والتوقع مثلها مثل "عسى" وليت تفيد التمني ضرب من الترجي "إذ أن استعمال التمني في الممكن والحال، واختصاص الترجي بالممكن"(1) فقد ألحقناهما مع أفعال الرجاء بهذا الاعتبار، وباعتبارهما ناسخين.

و"لعل" عند النحاة : "طمع واشفاق"(2) وهي تفيد مثل "عسى" التوقع والترجي في المحبوب(3) نحو : «لعلكم تفلحون»(آل عمران130/3)، والاشفاق في المكروه نحو «لعل الساعة قريب»؟(الشورى17/42).

ويذكر لها السيوطي دلالات أخرى منها : "أن جميع ما في القرآن من "لعل" فهو للتعليل الا قوله «لعلكم تخلدون»(الشعراء129/26) ومنها زنها للتشبيه الا أن الترجي والاشفاق هو الأصل في دلالة لعل، أما المعاني الآخرى فطارئة عليها تستفاد من السياق اللغوي ومضمون الجملة(4)، والترجي لايكون الا للمستقبل ومن أمثلة "لعل" في القرآن الكريم قوله تعالى : «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى»(طه44/20).

اذ أفادت "لعل" هنا المستقبل. يقول الزمخشري وهو يشرح الآية : أي اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجوا ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه(5) وقد علم الله ارسالهما ما يفضي اليه حال فرعون ولكن ورد اللفظ بصوره وما يختلج في نفوس موسى وهارون في الرجاء والطمع لايكونان الا للمستقبل القريب، "فلعل" هنا تفيد أن خبرها "يتذكر" قد انصرف

---

1 - المقرب 106/1.
2 - الكتاب 233/4.
3 - الاتقان 173/1 ...
4 - التعبير الزمني عند النحاة والعرب للدكتور /بوخلخال عبدالله 109/2.
5 - الاتقان للسيوطي 165/1.

الى المستقبل، ومنه قوله تعالى : «لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا»(الطلاق1/65).

ودلالة الفعل المضارع "يحدث" على الاستقبال بينة واضحة من وجهين، أحدهما : القرينة اللفظية في قوله تعالى : «بعد ذلك» الثاني : السياق الذي جاء فيه التركيب.

وقد جاء التركيب في سياق قوله تعالى : «واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا»(الطلاق/1 65).

ويفسر المفسرون هذه العبارة بما يفيد دلالة الفعل على الاستقبال، فمعنى لا تخرجوهن... : لاتخرجوهن من بيوتهن، فقد يندم أحدكم مستقبلا على ما فعل، ويعود لزوجه. قال ابن عباس في هذا الموضوع : "يريد الندم على طلاقها، والمحبة لرجعتها في العدة"(1). وقال مفسرون آخرون : "هي الرغبة في ارتجاعها والميل اليها بعد انحرافه عنها، أو ظهور حمل، فيراجعها من أجله"(2). ومنه قوله تعالى : «قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت»(المؤمنون100/23).

والسياق الذي وردت فيه هو قوله تعالى : «حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا». وهو سياق يبين أن الوجهة الزمنية لـ "لعل" تختلف عن وجهات أخواتها السابقات، فهي واقعة في مستقبل زمني عام (لأن الموت يجيئ في كل زمان» وهي تدل على مستقبل ينطلق من نقطة زمنية تقع في هذا الزمن العام، والشكل التالي يبين موقع هذا التركيب في الخريطة العامة

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 33/30.
2 - البحر المحيط لأبي حيان 282/8.

للزمن :

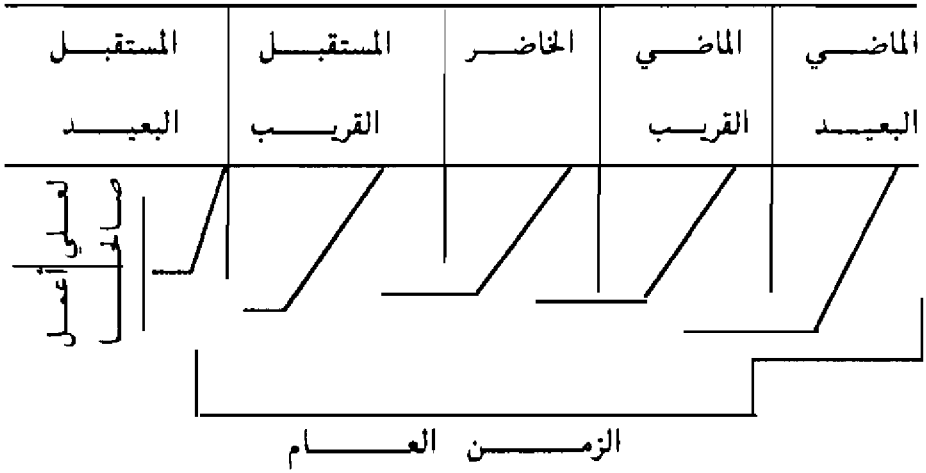

حتى اذا جاء أحدهم الموت

قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية فيما معناه.

اذا عاين المؤمن الملائكة، قالوا : نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والأحزان، بل قدوما الى الله، وأما الكافر فيقول : رب ارجعون لعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه(1) فتوجيهنا الزمني يوائم شرح المفسرين للآية.

ومن أمثلة "لعل" الدالة على المستقبل الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى: «واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون»(البقرة53/2).

- «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقون لعلكم ترحمون»(الانعام155/6)

- «فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون»(الانفال45/8).

- «لاتركظوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم

1 - الكشاف (42/3).

تسألون»(الانبياء13/21).

- «لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين»(الشعراء40/26).

- «عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى»(عبس3/80).

- «فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون»(البقرة186/2).

- «يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان تأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون»(يوسف/46 12).

- «وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذ انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون»(يوسف62/12).

- «لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون»(يوسف46/12).

- «فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى إله موسى»(القصص38/28).

- «ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى»(طه130/20)

لـــيت في القرآن

يقيس النحاة "ليت" على عسى لأنها للتمني وهو ضرب من ضروب الترجي ومادام التمني هو حصول الشيء، فان خبرها لايكون الا في الاستقبال، أي تفيد المعنى الذي لم يقع بعد : وهذا مالم يصرفها السياق الى زمن آخر على نحو ما سنرى(1) ولم ترد ليت في القرآن وخبرها مضارع مجرد الا مرة واحدة وذلك في قوله تعالى : «ياليتنا نرد، ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين»(الأنعام27/6).

---

1 -- انظر شرح الكافية للرضي 346/2 والتعبير الزمني عند النحاة العرب 110/2و 111، وانظر الاتقان 175/1.

و "ليتنا نرد" ههنا لاتدل على المستقبل وكفى، ولكنها تدل على مستقبل بعيد جدا، أبعد من البعيد لأنها تنطلق من زمن بعيد يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى : «ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين»(الانعام27/6)، اذ أن المعنى الزمني للآية هو (والله أعلم) أن الكفار سوف يتمنون عندما يصلون نار جهنم أن يردوا الى الدنيا، والمعنى العام للآية هو : "يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات ربنا رددنا أو لم نرد أي قد عايتنا وشاهدنا ما لانكذب معه أبدا"(1) لأن من صدر منه تقصير -كما يقول الامام الرازي- ثم عاين الشدائد والأهوال بسبب ذلك التقصير أنه يتمنى الرد الى الحالة الأولى ليسعى في ازالة جميع وجوه التقصيرات، ومعلوم أن الكفار قصروا في دار الدنيا فهم يتمنون العودة الى الدنيا لتدارك التقصيرات، وذلك التدارك لايحصل الا بالعودة الى الدنيا(2)، فشرح المفسرين يفضي الى الزمن الذي بيناه وهو الزمن الذي ينطلق من المستقبل البعيد، والشكل التالي يوضح ذلك :

الماضي	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد	الانطلاق من المستقبل البعيد
				يا ليتنا نرد

وقد جاء خبر ليت في القرآن فعلا مضارعا منفيا، فتغيرت دلالته الزمنية اذ أصبح يدل على ماضي المستقبل، مثال ذلك قوله تعالى : «يقول يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا»(الفرقان28/25) فنحن نجد أن هذا التركيب

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 192/12.
2 - التفسير الكبير للامام الرازي 193.

يندرج في سياق دال على زمن استقبالي بعيد وذلك في قوله تعالى : «ويوم تشق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا» الى قوله تعالى : «ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا... ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا»(الفرقان28,27,26,25/25) فالمراد باليوم يوم القيامة والزمن الذي تصفه الآيات هو زمن يوم القيامة(1).

ولكن زمن التمني يرتد الى الماضي، ماضي المستقبل وهو ماضي يوم القيامة، والمعنى الزمني للآية هو أن الكافر سيندم يوم القيامة على ماضيه الدنيوي الذي اتخذ فيه انسانا -ضالا- خليلا(2). وانما انقلب الزمن الماضي بفضل "لم" التي تقلب الى الماضي وذلك في قوله "لم أتخذ".

الماضي	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد (يوم القيامة)
			يوم يعض الظالم على يديه

ماضي المستقبل

"لم أتخذ فلانا خليلا"

وهذا الشكل يبين علاقة ماضي المستقبل «لم أتخذ فلانا خليلا» بـ : المستقبل البعيد في قوله : «يوم يعض الظالم على يديه» كما جاء خبر "ليت" فعلا ماضيا مثبتا فدل على ماضي المستقبل وذلك في قوله تعالى : «يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا»(الاحزاب66/33)، وذلك بعد قوله تعالى: «يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا»(الاحزاب66/33).

1 - الكشاف 90/3.

2 - انظر المرجع نفسه.

فالموقع الزمني لهذا التركيب هو الموقع نفسه الذي دل عليه التركيب الأول في الآية السابقة، الا أنه هناك فعل مضارع منفي بحرف نفي وقلب للماضي وهو هنا فعل مثبت ماض لفظا ومعنى.

والشكل التالي يوضح ذلك :

الماضـــي	الحاضـــر	المستقبل القريـــب	المستقبل البعيـــد
			يقولـون ياليتنـا

مـــــــــاضـــي المستقبـــــــــل

"أطعنـــا اللـــه وأطعنـــا الرســولا"

وهذه أمثلة لـ "ليت" في القرآن وخبرها مضارع منفي، وماض مثبت. قال تعالى : «ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا»(الكهف42/18).

- «وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه»(الحاقة/25 69)

وقال عز وجل :

- «يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما»(النسا،73/4).

- «قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا»(مريم23/19).

- «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا»(النبأ40/78).

- «يقول يا ليتني قدمت لحياتي»(الفجر24/89).

- «يا ليتها كانت القاضية»(الحاقة27/69).

أما عن مجموعة أفعال الشروع فقد ورد في قوله تعالى : «وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة»(الاعراف22/7 و طه121/20) و "طفق" يجعلها النحاة ضمن طائفة كبيرة من الأفعال يسمونها أفعال الشروع، ومعنى الشروع عندهم ابتداء الفعل ومباشرة أوله حقيقة(1) ومن بين هذه الافعال : شرع وأنشأ، وأخذ، وعلق، وجعل، وقام... الخ، وهي عند صاحب اللسان تطلب الفعل المستقبل(2) ولكن شرح المفسرين لـ : طفق يوحي بأنها تفيد الابتداء والشروع في الفعل من أوله فمعنى طفقا يخصفان أخذا يضعان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليسترا بها(3).

وهكذا نجد أن هذه المجموعات الناسخة التي عرضناها في هذا الفصل تضفي دلالات وآمادا زمنية على الفعل بعدها حسب دلالتها المعجمية الذاتية كما نجد أن زمن هذه الأدوات لا يكاد يتأثر بالسياق الذي يندرج فيه الآن أزمنتها محدودة بفترة معينة ما عدا ليت.

1 - انظر شرح الكافية 307/2.
2 - لسان العرب لابن منظور 95/1.
3 - الكشاف 73/2.

وهذا جدول يبين الازمنة التي تدل عليه هذه المجموعات الناسخة في القرآن الكريم(1).

الفعل	صيغته في القرآن	دلالته الزمنية	معناها
أصبح	أصبح - يصبح	الاصباح -الصيرورة (التحول من حال الى حال)	اتصاف اسمها بمعنى خبرها.
ظل	ظل	استغراق فترة (التحول من حال الى حال)	اتصاف اسمها بمعنى خبرها.
فتئ	تفتؤ	سريان الحدث من الماضي الى المستقبل (الاستمرار)	ملازمة صفة خبرها لاسمها باستمرار.
مازال	مازال - مايزال	الأزمنة الثلاثة : (الماضي - الحاضر المستقبل)	استمرار الحدث الى وقت الكلام
كاد	كاد - ما كاد يكاد - لا يكاد	قرب وقوع الفعل	قرب وقوع الفعل
عسى	عسى	وقوع الفعل بعدها في المستقبل	توقع حدوث الفعل
لعل	لعل	وقوع الفعل بعدها في المستقبل	ترجي وقوع الفعل
ليت	ليت	وقوع الفعل في المستقبل	تمني وقوع الفعل
طفق	طفق	الشروع في مضمون الجملة في الزمن الحالي	الشروع في الفعل

(1) اقتصرنا في هذا الجدول على ذكر الدلالة الزمنية الذاتية للأدوات وهي الدلالة الغالبة في القرآن الكريم ولم نتعرض لدلالتها السياقية لصعوبة تحديد مواقعهه الزمنية السياقية في الجدول.